التفسير اللفظي للقرآن ودوره في نشأة وإثراء البحث المعجمي

د.عبد القادر بوشيبة

جامعة تلمسان

ملخص :

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على رسوله الكريم وعلى آله وصحبه وسلم تسليما إلى يوم الدين، وبعد؛ لقد حفل التراث المعجمي العربي بالعديد من المعاجم التي تسجل مفرداتها وتقيدها وتشرحها شرحا يفيد بالغرض، وتشير الدراسات إلى أن تفسير القرآن الكريم قد ساهم الدرس المعجمي العربي في بعثه أولا ثم إثرائه لاحقا،وقد شهدت دراسة مفردات القرآن مسارا تطوريا تصاعديا في تاريخ دراسته العتيد، فقد اقتصرت دراسات ألفاظه في البداية لقطاع بسيط لألفاظه تمثلت في تلك الألفاظ المحددة في كتاب مسائل نافع بن الأزرق عن عبد الله بن العباس، وكانت هي البداية الأولى لمعاني ألفاظ القرآن الكريم، ويعدها الباحثون والمتخصصون في الدرس المعجمي أول دراسة معجمية لألفاظ القرآن بل لألفاظ اللغة العربية ككل، لأنها كانت مختارة لبعض ألفاظ القرآن ويقابلها بشيء من الشرح وكان يستشهد فيها عبد الله بن عباس بشعر العرب الذي يؤيد به ما ذهب إليه من معنى،ثم تطور الدرس المعجمي لألفاظ القرآن الكريم ليتسع ويشمل كل الألفاظ الغريبة، فألفت كتب ألفاظ غريب قرآن الكريم ومعانيه، وقد كثرت حتى صارت صناعة معجمية لها علماؤها والمتخصصون فيها، ثم توسعت بعد ذلك لتشمل جميع مفردات القرآن دون أن تترك منها شيئا، ثم ظهرت معاجم اللغة العامة والتي كانت نصوصها المعجمية تثرى بآيات القرآن استشهادا واستئناسا بمعانيها، فما المقصود بالتفسير اللفظي لألفاظ للقرآن الكريم؟ وما هي أهميته المعجمية قديما وحديثا؟.

Abstract:

Arab lexical heritage has witnessed several dictionaries that recorded vocabulary and adherence to explain it. Studies suggest that lexical studies have contributed to the interpretation of Koran. Then the evolution of the lexical lesson helped to study the foreign words of Koran, and then subsequently expanded to include all items Koran without leaving any of them, the dictionaries of common language emerged and versions of which were lexical were enriched by Koran quotes .So, what is meant by the interpretation of verbal words of Koran? and what is the importance of lexicology, in the past and the present time?.

المنارة للاستشارات

المبحث الأول: "مسائل نافع بن الأزرق عن عبد الله بن عباس" وأهميتها المعجمية

1-مفهوم التفسير اللفظي للقرآن: يقصد بالتفسير اللفظي لألفاظ القرآن أن يكون اللفظ المفسِّرُ مطابقا للفظ المفسَّر مع الاستشهاد عليه أحيانا بكلام العرب شعرا ونثرا، ولقد كان لهذا الأسلوب مكانه في تفسير السلف[1].

والتفسير اللفظي هو جانب مهم من جوانب التفسير اللغوي، الذي هو بيان معاني القرآن بما ورد في لغة العرب، وهذا يعني أن التفسير اللغوي لا يكون إلا باللغة، ويخرج من ذلك التفسير بالمناهج الأخرى كالتفسير بأسباب النزول، وقصص الآي، أو بالإسرائيليات، أو غيرها[2].

وقد حث العلماء على الاعتماد على اللغة وكلام العرب في تفسير ألفاظ القرآن، فقد نبه "**الزركشي**" (794هـ) على ضرورة معرفة المفسر الغريب، والإحاطة باللغة، وساق قول "**مالك بن أنس**" (179هـ): «لا أُوتَى برجل يفسّر كتاب الله، غيرَ عالم بلغة العرب، إلا جعلته نكالا»[3]، ثم قولَ "**مجاهد**" (104هـ): «لا يحل لأحد-يُؤمن بالله واليوم الآخر- أن يتكلم في كتاب الله، إذا لم يكن عالماً بلغات العرب»[4].

---

(1) ينظر: التفسير اللغوي للقرآن الكريم، مساعد الطيار، ص68.

(2) نفسه، ص38.

(3) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، 292/1.

(4) نفسه، 292/1.

المنارة للاستشارات

وذكر "**الزركشي**" أن الكاشف عن معاني القرآن، يحتاج إلى معرفة علم اللغة؛ اسما، وفعلاً، وحرفاً، فالحروف–لقلتها–تكلم النحاة على معانيها، فيؤخذ ذلك من كتبهم، وأما الأسماء والأفعال: فيؤخذ ذلك من كتب اللغة[1].

وقد ذكر "**ابن الأثير**" عند حديثه عما يلزم لمعرفة علم الحديث، فقال فيما ملخصه أن أحدهما معرفة الألفاظ، والثاني معرفة معانيه، ولا شك أن معرفة ألفاظه مقدَمةٌ في الرتبة، لأنها الأصل في الخطاب، وبها يحصل التفاهم، فإذا عُرِفتْ، تَرَتَّبَتِ المعاني عليها، فكان الاهتمام ببيانها أولى[2].

ويعد الاهتمام بمعاني ألفاظ غريب القرآن الكريم والاهتمام بشرحها أقدم وجوه التفسير اللفظي واللغوي لآي القرآن الكريم، لأن معرفة المفسر غريب القرآن من أهم أدواته لمن يريد أن يدرك معانيه، «وليس ذلك نافعاً في علم القرآن فقط، بل هو نافع في كل علم من علوم الشرع، فألفاظ القرآن هي لُبُّ كلام العرب، وزُبْدتُه، وكرائمُه، وعليها اعتماد الفقهاء، والحُكماء في أحكامهم وحِكَمِهم، وإليها مفزع حُذّاق الشعر، والبلغاء، في نظمهم وشعرهم، وما عداها وعدا الألفاظ المتفرعات عنها، والمشتقات منها هو بالإضافة إليها كالقشور والنوى، بالإضافة إلى أطايب الثمرة، وكالحثالة والتبن، بالإضافة إلى لُبوب الحنطة»[3].

---

[1] نفسه، 291/1.

[2] ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، الجزري، تحقيق طاهر أحمد الزواوي، 4/1.

[3] المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق محمد سيد كيلاني، 6/1.

المنارة للاستشارات

وقد سبق علماء السلف اللغويين في التفسير اللفظي لألفاظ القرآن، بل إن كتب السلف ورواياتهم في التفسير كانت ملهمة للغويين الذين دونوا اللغة[1].

ما نسب لكل الصحابة من تفسير لا يقاس إلى ما نسب لـ"عبد الله بن عباس" رضي الله عنه، فهو أكثر الصحابة تفسيرا، وقد حمل تفسيره الكثير من التابعين، وهو يعد المؤسس الحقيقي لعلم التفسير، فهو الذي نهجه ووضع أصوله، واشتهر بأنه يرجع إلى أهل الكتاب في قصص الأنبياء، وأنه كان يعتمد على الشعر القديم في تفسير ألفاظ القرآن الكريم[2].

وقد برع "**عبد الله بن عباس**"في تفسير معاني غريب القرآن وكان معتمده فيها على الشعر العربي القديم، حيث كانت أغلب جهوده منصرفة في هذا الجانب وأعانه على ذلك ما كان له من علم استقاه من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وملازمته لكبار الصحابة إلى جانب معرفته الواسعة بكلام العرب وبأحوالهم وآدابهم وأساليبهم، وأكد على ذلك في قوله: «التفسير أربعة أوجه وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يعذر أحد بجهله، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه أحد إلا الله»[3].

وكان "**عبد الله بن عباس**" يقول: «إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر فإنه ديوان العرب»[4].

---

[1] والدليل على ذلك أن اللغويين الأوائل كأبان بن تغلب الجريري (141هـ)، وعلي بن حمزة الكسائي (183هـ) وغيرهما قد ظهروا في عصر أتباع التابعين وكان التفسير اللفظي قد ظهر في عصر "ابن عباس" (68هـ) رضي الله عنهما قبل ذلك بكثير.

[2] تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي، شوقي ضيف، ص29.

[3] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تعليق عبد القادر الأرناؤوط، 6/1.

[4] الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، تعليق محمد سالم هاشم، 242/1.

المنارة للاستشارات

وفي ذلك يقول "**عطاء**": «ما رأيت أكرم من مجلس ابن عباس، أصحاب الفقه عنده، وأصحاب القرآن عنده، وأصحاب العربية والشعر عنده يصدرهم كلهم من واد واسع»[1].

ويقول "**ابن عباس**": «الشعر ديوان العرب فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب رجعنا إلى ديوانها فالتمسها معرفة ذلك منه»[2].

وقد أثر عن"**ابن عباس**" مجالس في تفسير معاني غريب ألفاظ القرآن، جمعت في كتاب وسميت بمسائل نافع بن الأزرق عن عبد الله بن العباس، ويعد هذا التفسير أول محاولة هامة في التفسير اللغوي لألفاظ القرآن الكريم.

2- التعريف بمسائل نافع بن الأزرق: وهي مسائل عن معاني الألفاظ من غريب القرآن سأل عنها "**نافع بن الأزرق**"[3] "**ابن عباس**"[4]، وطالبه أن يأتي بشواهد عل ما يفسره من معاني الألفاظ من شعر العرب، وقد بلغ عددها نحو 287 مسألة.

وصورة المسألة أن يقول "**نافع**" أخبرني عن قوله تعال، فيذكر اللفظ المسؤول عنه، فيقول "**ابن عباس**": كذا، فيقول "**نافع**": وهل كانت العرب تعرف

---

[1] معرفة القراء الكبار، الذهبي، تحقيق محمد سيد جاد الحق، 46/1.

[2] الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، 119/2.

[3] نافع بن الأزرق الحنفي البكري الخارجي الحروري، أبو راشد، كان أكبر قومه وفقيههم، وهو رأس الأزارقة وإليه نسبتهم، توفي سنة 65 هجرية، ترجمته ومصادرها في الأعلام للزركلي، 351/7.

[4] عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، أبو العباس، حبر الأمة وفقيهها، وربانيها، وإمام التفسير وترجمان القرآن، روى عنه خلق كثير، توفي سنة 68 هجرية، ترجمته ومصادرها في سير أعلام النبلاء، 331/3-359، وتهذيب الكمال، 154/15-162.

المنارة للاستشارات

ذلك؟ فيقول "**ابن عباس**": نعم، أما سمعت قول الشاعر: فيذكر الشاهد أو نحو ذلك، وهذه المسائل جمعت في عدت مجالس، وتناقلتها كتب اللغة وتفسير القرآن الكريم، وشملت في روايات منها نحو 287 لفظة من ألفاظ القرآن واحتج فيها "**عبد الله بن العباس**" بنحو 300 بيت من الشعر.

وأصل هذه المسائل أنا "نافع بن الأزرق" خرج مع "نجدة بن عويمر"[1] في نفر من رؤوس الخوارج ينقِّرون عن العلم ويطلبونه حتى قدموا مكة، فإذا هم بـ"عبد الله بن العباس" قاعدا إلى جنب زمزم عليه رداء له أحمر وقميص أبيض، وإذا الناس قيام يسألونه عن التفسير، ويقولون: يا بن عباس ما تقول في كذا وكذا، فيقول: هو كذا وكذا، فقال له "نافع بن الأزرق": ما أجرأك يا "ابن عباس" على ما تجيء به منذ اليوم، فقال له "ابن عباس": ثكلتك أمك يا "نافع"، ألا أخبرك بمن هو أجرأ مني؟ قال: ومن يا "ابن عباس"؟ قال: هو رجل تكلم بما ليس له به علم، أو رجل كتم علما عنده، قال: صدقت، ثم قال: إني أتيتك لأسلك، قال: هات يا "ابن الأزرق"[2]، ثم سأله "نافع" عن المسائل المعروفة.

ومما يمكن أن نمثّل به عن تلك المسائل النماذج الآتية:

– قال[3]: يا "ابن عباس" أخبرني عن قول الله عز وجل: ﴿**وَالأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ**﴾[4]، قال: الأَنَامُ: الخَلْقُ، وَهُمْ أَلْفُ أُمَّةٍ؛ سِتُّمِائَةٍ فِي البَحْرِ، وَأَرْبَعُمِائَةٍ فِي

---

[1] نجدة بن عويمر: وهو عامر الحنفي البكري الوائلي، رأس النجدية من الحرورية وإليه نسبتهم، ويعرفون بالنجدات، كان أول أمره مع نافع بن الأزرق وفارقه لإحداثه مذهبه وانفرد عن سائر الخوارج بآراء توفي سنة 69 هجرية، ينظر ترجمته ومصادرها في الأعلام، 10/8.

[2] ينظر: كتاب مسائل نافع بن الأزرق عن عبد الله بن العباس، محمد أحمد الدالي، 1993، ص33.

[3] نفسه، ص172، المسألة رقم228.

[4] سورة الرحمن، الآية رقم10.

المنارة للاستشارات

البَرِّ، قال: وَهَلْ تَعْرِفُ العَرَبُ ذَلِكَ؟ قال: نَعَم، أَما سَمِعْتَ لَبِيدُ بن رَبِيعَةٍ[1] وهُوَ يَقُولُ: فَإِنْ تَسْأَلِينَا فِيمَ نَحْنُ فإِنَّنَا***عَصَافِيرُ مِنْ هَذا الأَنَامِ المُسَحَّرِ.

– قال[2]: يا "ابن عباس" أخبرني عن قول الله عز وجل: ﴿**مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ**﴾[3]، قال: يُنْشَرونَ مِنْ جَوْفِ الأَرْضِ مِنْ كُلِّ نَاحيَةٍ، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت طَرَفَةَ بن العبْدِ[4] وهو يقول: وَأَمَّا يَوْمُهُنَّ فَيَوْمُ سَوْءٍ***تَخَطَّفُهُنَّ بالحَدَبِ الصُّقُورُ.

– قال[5]: يا "ابن عباس" أخبرني عن قول الله عز وجل: ﴿**رِجْسٌ وَغَضَبٌ**﴾[6]، ﴿**وَغَضَبٌ**﴾[6]، قال: الرِّجْسُ: اللَّعْنَةُ، وَالغَضَبُ: العَذَابُ، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟، قال: نعم، أما سمعت الشاعر وهو يقول:

إذا سَنَةٌ كَانَتْ بِنَجْدٍ مُحِيطَةً***فَكَانَ عَلَيْها رِجْسُها وَعَذابُها.

3- الأهمية المعجمية لمسائل نافع بن الأزرق عن عبد الله بن العباس: إن لهذه المسائل قيمة عظيمة من ناحيتين: العلمية والتاريخية، وذلك أنها أول ما يعرف من آثار التفسير اللغوي للقرآن[7]، وأول ما يعرف في باب الاحتجاج

---

(1) ينظر: ديوان لبيد بن ربيعة العامري، ص71.

(2) ينظر: كتاب مسائل نافع بن الأزرق عن عبد الله بن العباس، ص175، المسألة رقم234.

(3) سورة الأنبياء، جزء من الآية رقم96.

(4) ديوان طرفة بن العبد، ص38، (وقد ورد البيت في الديوان، مخالف بعض الشيء لما ورد في النص).

(5) مسائل نافع بن الأزرق عن عبد الله بن العباس، ص201، المسألة رقم284.

(6) سورة الأعراف، جزء من الآية رقم71.

(7) ينظر: تاريخ التراث العربي، فؤاد سزكين، 1991، 61/1.

المنارة للاستشارات

لمعاني ألفاظ القرآن بالشعر، وإن هذه المسائل تعد نصوصا معجمية لها بعض مقومات الصناعة المعجمية[1]، وندلل على ذلك من خلال الملاحظات التالية:

1- أن الألفاظ المشروحة هي ألفاظ منتقاة من ألفاظ القرآن الكريم، وهذه الألفاظ هي ما بات يعرف بألفاظ الغريب، التي يغمض معناها عن الكثيرين، لأسباب متعددة ومختلفة، وإن كان السائل عنها من العرب الفصحاء، وهذه الألفاظ مثل: شُوَاظٌ، نُحَاسٌ، الأَمْشَاجُ، الفُومُ، سَامِدٌ، عَسْعَسَ، اتَّسَقَ، مُسَحَّرٌ، الصَّمَدُ، المَشْأَمَةُ، مُلِيمٌ، الصَّرِيمُ، كَظِيمٌ، الحَرَضُ، سَجَرَ، الرِّكْزُ، يَحُورُ، الغَسَقُ، وغيرها، والتي بلغت نحو 287 لفظة.

2- استعمل "**ابن عباس**" الشاهد اللغوي المتمثل في الشعر العربي القديم للتأكيد على وجود اللفظة القرآنية، المراد شرحها، في كلام العرب أولا، ثم ثانيا لتوضيح دلالتها من خلال سياق لغوي عربي لشعراء عرب جاهليين عرف عنهم الفصاحة وحسن البيان، وهذا بعدما طلب السائل من المفسِّر ذلك، وهذا حينما قال له: «وهل تعرف العرب ذلك؟»، وهذا الشاهد اللغوي كان يطمئن إليه السائل، وبه كان يُسلِّم ويقنع بالتفسير، وقد بلغ عدد أبيات الشعر المستشهد بها نحو 300 بيتا من الشعر، أغلبها منسوب إلى أصحابه.

3- إن هذه النوع من التفسير الذي يعتمد على الشاهد الشعري من كلام العرب أصبح نبراسا لعمل معجمي سيأتي فيما بعد[1]، وغدا من أسس التفسير اللغوي

---

[1] الصناعة المعجمية مصطلح معجمي حديث، ويعرّفه "علي القاسمي" بـ: «أما الصناعة المعجمية فتشتمل على خطوات أساسية خمس هي جمع المعلومات والحقائق واختيار المداخل وترتيبها طبقا لنظام معين، وكتابة المواد، ثم نشر الناتج النهائي، وهذا الناتج النهائي هو المعجم أو القاموس»، (ينظر: علم اللغة وصناعة المعجم، علي القاسمي، ص13، وينظر: المعجمية العربية بين النظرية والتطبيق، علي القاسمي، ص20).

المنارة للاستشارات

للألفاظ، وسيكون الاعتماد على الشاهد اللغوي، (الشعري، والقرآني، والحديثي، وكلام فصحاء العرب)، ركيزة أساسية للعمل المعجمي في المعاجم العربية كلها[2].

4- إن هذه المسائل هي شرح للمفردات اللغوية الموجودة في بعض آي القرآن الكريم، وهي بداية وأصل للعمل المعجمي برمته، فالمعجمية في عرف علم اللغة الحديث تهتم بالمفردة بناءا ودلالة، وتهتم بشرح اللفظ بطرق مختلفة[3]، ونحن نجد في شروح "ابن عباس" للألفاظ شرحا بالمرادف، وتقديم لبعض المعلومات الموسوعية عن اللفظ زيادة في توضيح المعنى، وإشارة إلى أصل اللفظ المفسَّر من اللهجات العربية، مع ملاحظة خلو هذه المسائل من أي إثارة للقضايا الصرفية والنحوية واللغوية الأخرى، لتقدم عصر "ابن عباس" عن عصر النحو واللغة.

---

[1] يرى المعجمي "محمد رشاد الحمزاوي" أن جميع مظاهر المعجم العربي التاريخية من رسائل مفردة، وغريب مصنف، ودلائل إعجاز، ومعاجم مختصة أو عامة قد وضعت في أول أمرها تفسيرا وتأويلا لآيات القرآن الكريم ومعانيه ومجازاته، (ينظر كتابه: المعجم العربي إشكالات ومقاربات، محمد رشاد الحمزاوي، ص78).

[2] يقول في هذا "فؤاد سزكين": «وبمقارنة الأبيات الشواهد التي ذكرها ابن عباس بتفاسير القرن الثاني الهجري يتضح لنا أن بعض هذه الأبيات اعتبرت مقياسا عند علماء اللغة في القرن الثاني الهجري، وتعد من الشواهد المعتمدة في شرح الألفاظ النادرة التي سماها اللغويون العرب باسم الغريب...»، (ينظر: تاريخ التراث اللغوي العربي، 1/61-62).

[3] وأهم هذه الطرق هي: الشرح بالمرادف، والشرح بالتخصيص، والشرح بالعبارة، والشرح بالسياق، والشرح بالحقل الدلالي، والشرح بالاشتقاق، ينظر في هذا الموضوع: (صناعة المعجم الحديث، أحمد مختار عمر، ص121، وما بعدها، وينظر: من قضايا المعجم العربي قديما وحديثا، محمد رشاد الحمزاوي،ص160،وما بعدها، وينظر: المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث، محمد أبو الفرج، ص94-95، وينظر: تقنيات التعريف في المعاجم العربية المعاصرة، حلام الجيلالي، ص105، وما بعدها).

المنارة للاستشارات

المبحث الثاني: كتب غريب القرآن ومعانيه؛ منهجها وأهميتها المعجمية

أولا: كتب غريب القرآن[1]

1)- كتب غريب القرآن ومفرداته؛ نشأتها وتطورها: لقد أدت مسائل نافع بن الأزرق عن عبد الله بن العباس المفسرين والمهتمين بمعاني القرآن إلى التفكير في توسعة البحث في ألفاظ غريب القرآن بأكمله، ولذلك فقد استمر التأليف في مفردات غريب القرآن وشرح معناها.

ويعد النصف الأول من القرن الأول للهجرة بداية التأليف في هذا النوع من المفردات، ولم ينقطع التأليف فيه إلى يومنا هذا، ولا تحصى كل المؤلفات التي عرفها ألفاظ الغريب حتى قال "**السيوطي**": «أفرده بالتصنيف خلائق لا يحصون»[2]، وقد أحصى غير واحد من الباحثين ما صُنِّف في غريب القرآن ومعانيه وقاموا بجهود مشكورة في حصر هذه المؤلفات واستقرائها[3]، ولكن يندّ عن بعضهم شيء منها.

---

[1] "الغريب القرآني" هو الألفاظ القرآنية التي يُبْهَم معناها على القارئ والمفسر، وتحتاج إلى توضيح معانيها، بما جاء في لغة العرب، وكلامهم، (ينظر: معجم مصنفات القرآن الكريم، علي شواخ، 291/3)، ويعرفه مكي بن أبي طالب القيسي بقوله: علم غريب القرآن هو العلم المختص بتفسير الألفاظ الغامضة في القرآن الكريم، وتوضيح معانيها بما جاء في لغة العرب وكلامهم، فهو مبحث لغوي متخصص، أو هو الجانب اللغوي من علم التفسير، ينظر: (العمدة في غريب القرآن، مكي بن أبي طالب، تحقيق يوسف المرعشلي، ص14)، ويكون المقصود بالألفاظ الغريبة بأن تكون مستغربة في التأويل، بحيث لا يتساوى في العلم بها أهلها وسائر الناس، ينظر: (إعجاز القرآن، والبلاغة النبوية، الرافعي، ط، مطبعة الاستقامة، القاهرة، 1956، ص74).

[2] الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، 113/1.

[3] نحو: حسين نصار في: (المعجم العربي نشأته وتطوره)، و(كتب غريب القرآن)، وأحمد الشّرقاوي في: (معجم المعاجم)، وغيرها.

المنارة للاستشارات

وأهم اللغويين الّذين ألفوا في غريب القرآن: **أبو فيد مؤرِّج السّدوسي** (195هـ)، **ويحيى بن المبارك اليزيدي** (202هـ)، **والنضر بن الشميل** (203هـ)، **وأبو عبيدة معمر بن المثنى** (210هـ)، **والأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة** (215هـ)، **وأبو عبيدة القاسم بن سلام** (224هـ)، **ومحمد بن سلام الجمحي** (231هـ)، **وابن قتيبة** (276هـ)، و**ثعلب** (291هـ)، وقد فقدت هذه الكتب جميعا سوى غريب "**ابن قتيبة**"، وألَّف في القرن الخامس الهجري **الراغب الأصفهاني، وأحمد بن محمد المرزوقي** (431هـ)، **ومكي بن محمد القيسي** (347هـ)، **ومحمد بن يوسف الكفرطابي** (435هـ)، **وعبد الواحد بن أحمد المليحي** (463هـ)[1].

2)-كتب غريب القرآن ومفرداته؛ منهجها وأهميتها المعجمية: فعن منهج كتب غريب القرآن فقد اختلف أهل غريب القرآن الكريم فيما بينهم اختلافا بيّنا، في شرح اللفظ القرآني الغريب؛ فمنهم من مال إلى الاختصار الشديد، مثل "أبي حيان الأندلسي"، في كتابه "تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب"؛ فقد اقتصر على الشرح اللغوي السريع، للفظ القرآني، دون أن يبين الآية التي ورد فيها، أو يذكر السورة التي احتوته، أو يذكر أحداً من اللغويين أو المفسرين، أو يستشهد بأية شواهد[2]، ومنهم من مال إلى الإطالة، وجمع المادة العلمية، عن اللفظ القرآني المفسر، حتى أضحى كتابه موسوعة علمية صغيرة، فقد حوى اللغة، والنحو، والصرف، والتفسير، والقراءات، والفقه، والمنطق، والحكمة،

(1) ينظر: المعجم العربي، نشأته وتطوره، حسين نصار، 40/1-41.

(2) المعجم العربي؛ نشأته وتطوره، حسين نصار، 46/1.

المنارة للاستشارات

والأدب، والنوادر، وأصول الفقه، والتوحيد[1]، ورأس هذا الاتجاه هو الراغب الأصفهاني[2] في كتابه "مفردات ألفاظ القرآن".

وقد عد بعض المعجميين[3] كتاب "مفردات ألفاظ القرآن" قمة التأليف في غريب القرآن الكريم، من حيث الترتيب والعلاج، وعده رائداً في ترتيبه وعلاجه لم يجد من يسير خلفه[4]، ولكن وجد هناك من يحتذيه، ويسير على منهجه، بل وينقل عنه، ويعتمد على مواده اعتماداً كلياً وهو "**السمين الحلبي**" (756هـ) في كتابه "عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ"[5].

و ندلي هنا بقول "**ابن قتيبة**" في كتابه: «وغرضنا الذي امتثلناه في كتابنا أن نختصر، ونكمل، وأن نوضح ونجمل وألا نستشهد على اللفظ المبتذل في كتابنا، ولا نكثر الدلالة على الحرف المستعمل، وألا نحشو كتابنا بالنحو والحديث والأسانيد، فإنا لو جعلنا ذلك في نقل الحديث لاحتجنا أن نأتي بتفسير السلف . رحمة الله عليهم . بعينه، ولو أتينا بتلك الألفاظ كان كتابنا كسائر الكتب التي ألفها نقلة الحديث»[6].

ويرى"**حسين نصار**" أن منهج "ابن قتيبة" خليط بين منهجي كتب اللغة وكتب التفسير، فهو يضم ظواهرهما معا، فبينما يفسر الألفاظ لغويا ويستشهد

---

[1] ينظر: مفردات ألفاظ القرآن، ص26 من مقدمة التحقيق.

[2] نفسه، ص38.

[3] ينظر: المعجم العربي؛ نشأته وتطوره، حسين نصار، 49/1.

[4] نفسه، 44/1.

[5] ينظر: عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، تحقيق محمد باسل عيون السود، ص15.

[6] ينظر: تفسير غريب القرآن، ابن قتيبة، تحقيق السيد أحمد صقر، ص3.

المنارة للاستشارات

عليها كثيرا بالأشعار والأحاديث وأقوال العرب، يفسرها قرآنيا ويستعين بأقوال مشهوري المفسرين[1].

ولتوضيح طريقة ومنهج أصحاب كتب الغريب التي جاءت بعد "ابن عباس"، نذكر النماذج التالية:

– فمما جاء في كتاب "**ابن قتيبة**": «﴿**فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ**﴾[2]، أَيْ جُورٌ، يُقَالُ: قَدْ زُغْتُ عَنِ الحَقِّ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ: ﴿**أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الأَبْصَارُ**﴾[3]، أَيْ عَدَلَتْ وَمَالَتْ»[4]، فهنا تفسير لفظي للفظ "زَاغَ" كان بالمرادف أولا، ثم ساق "**ابن قتيبة**" اللفظة المفسرة في سياق لغوي ليحدد دلالتها بوضوح، وأكد على ذلك بشاهد قرآني آخر إمعانا في التوضيح والبيان.

– ومما جاء في كتاب "مفردات غريب القرآن" **للراغب الأصفهاني**"، في مادة "مرد": « مَرَدَ، ﴿**وَحِفْظاً مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ**﴾[5]، والمَارِدُ وَالمَرِيدُ، مِنْ شَيَاطِينِ شَيَاطِينِ الإِنْسِ وَالجِنِّ، المُتَعَرِّي مِنَ الخَيْرَاتِ، مِنْ قَوْلِهِمْ: شَجَرٌ أَمْرَدٌ؛ إِذَا تَعَرَّى مِنَ الوَرَقِ، وَمِنْهُ قِيلَ رَمْلَةٌ مَرْدَاءُ: لَمْ تُنْبِتْ شَيْئًا، وَمِنْه: الأَمْرَدُ: لِتَجَرُّدِهِ عَنْ الشَّعْرِ، وَرُوِيَ: أَهْلُ الجَنَّةِ مُرْدٌ، فَقِيلَ: حُمِلَ عَلَى الظَّاهِرِ، وَقِيلَ مَعْنَاهُ:مُعْرَوْنَ مِنَ الشَّوَائِبِ وَالقَبَائِحِ، وَمِنْهُ قِيلَ: مَرَدَ فُلانٌ عَنِ القَبائِحِ، وَمَرَدَ عَنِ المَحَاسِنِ، وَعَنِ الطَّاعَةِ، قَالَ تَعالى: ﴿**وَمِنْ أَهْلِ المَدِينَةِ مَرَدُوا عَلى النِّفَاقِ**﴾[6]، أَيْ

---

[1] ينظر: كتب غريب القرآن، حسين نصار، ص331.

[2] سورة آل عمران، جزء من الآية رقم7.

[3] سورة ص، جزء من الآية رقم63.

[4] تفسير غريب القرآن، ابن قتيبة، ص101.

[5] سورة الصافات، الآية رقم7.

[6] سورة التوبة، جزء من الآية رقم101.

المنارة للاستشارات

ارْتَكَسُوا عَنْ الخَيْرِ وَهُمْ عَلَى النِّفاقِ، وقَوْلُهُ: ﴿**مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ**﴾[1]، أيْ مُمَلَّسٌ، مِنْ قَوْلِهِم: شَجَرَةٌ مَرْدَاءٌ، إذَا لَمْ يَكُنْ عَلَيْهَا وَرَقٌ، وَكَأَنَّ المُمَرَّدَ إشَارَةٌ إلَى قَوْلِ الشَاعِرِ: فِي مَجْدَلٍ شِيدَ بُنْيَانُهُ**يَزِلُّ عَنْهُ ظِفْرُ الظَّافِرِ

وَمَارِدٌ: حِصْنٌ مَعْرُوفٌ، وَفِي الأَمْثَالِ: تَمَرَّدَ مَارِدٌ، وَعَزَّ الأَبْلَقُ، قَالَهُ مَلِكٌ امْتَنَعَ عَلَيْهِ هَذَانِ الحِصْنَانِ»[2].

ففي هذا النص المعجمي المطول، ذهب "**الراغب الأصفهاني**" إلى تفسير لفظة المارد، الواردة في باب الميم، بطرق معجمية شتى، فقد بادر إلى ذكر الآية التي وردت فيها اللفظة المفسَّرة دون أن يسمي السورة ورقم الآية، ثم قام بتقديم الصيغ المشهورة التي تأتي فيها اللفظة في العربية، ثم قام بشرحها بطريق العبارة، وقدم بعض السياقات التي ترد فيها اللفظة ليوضح بها معنى اللفظة، والتي تفيد دائما معنى محوريا تعود إليه هذه المعاني المتعددة، وهذا المعنى هو "التعري" من الأشياء التي تغطى بها الأشياء، وإن لم يذكر الراغب هذا المعنى، وإنما ترك للقارئ استنتاجه من السياقات المختلفة، ثم ذكر آيات أخرى ذكر فيها اللفظ بالمعنى الذي أراد وكأنه قد استشهد به فيما ذهب إليه، ولجأ إلى شاهد شعري لم ينسبه إلى صاحبه، ثم ذكر لنا معلومة موسوعية مفيدة، وفي الأخير استشهد بمثَلٍ من كلام العرب يتضمن اللفظة المفسرة.

فهذه الطرق والوسائل التي استعملها **الراغب** في الشرح هي طرق معهودة لدى أصحاب المعاجم، ولذلك فإننا نقول أن كتب الغريب ما هي إلا

---

[1] سورة النمل، جزء من الآية رقم44.

[2] مفردات غريب ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، ص466.

المنارة للاستشارات

وجه آخر من وجوه العمل المعجمي العربي، إلا أنها قد اكتفت بألفاظ مخصصة هي ألفاظ الغريب من القرآن الكريم.

فألفاظ كتب الغريب كانت مرتبة ترتيبا على حروف المعجم، بحسب السور والآيات، وكانت تنشد في عمومها الاختصار قدر الإمكان، وكان التأليف يعرف مسألة التراكم، أي أن المتأخر يأخذ عن المتقدم، ويتلافى تقصيره، ويختصر أشياء أسهب فيها غيره، كما يسهب في أمورٍ أجملها، ويضيف أشياء جديدة، مما يجعل المؤَلَّفَ الجديد أكثر دقة وجودة وفائدة من سابقه، وهذا يدل على التطور الملحوظ في هذا المجال.

وإن التأليف في غريب القرآن ومعانيه كان في جميع مراحله تطوره يعتمد في تفسير كلماته الشعر وبخاصة الجاهلي منه، كما في مسائل "**نافع بن الأزرق**"، وقد فعل ذلك "ابن قتيبة" في "غريب القرآن" إذ استشهد بالأشعار والأحاديث وأقوال العرب، ولجأ بعضهم إلى كتب التفسير وكتب اللغة في تفسير مفرداتهم، وهذا ما فعله "الراغب" في "مفردات ألفاظ القرآن".

وخلاصة القول عن كتب الغريب أنها معاجم لنوع من المفردات هي الألفاظ الغريبة من القرآن الكريم، أو هي ألفاظ القرآن الكريم برمته، وهي مرتبة كما رتبت المعاجم اللغوية مادتها، وهي تهتم بالمفردة بتحديد معناها بطرق مختلفة كالترادف والضد والاشتقاق، وبالعبارة وبالسياق، وفي الشرح إشارة إلى لغات العرب، وفيها اعتماد على الشواهد الشعرية، وفيها رد الأقوال إلى أصحابها بطريق الإسناد وغيره، وكل هذه المسائل هي من صميم الصناعة

المنارة للاستشارات

المعجمية، وقد أَثْرَت كتب الغريب النصوصَ المعجمية في المعاجم اللغوية بدءا من معجم العين وحتى إلى المعاجم المتأخرة.

ثانيا: كتب معاني القرآن

1)- كتب معاني القرآن؛ نشأتها وتطورها: لقد عرفت حركة التأليف في كتب ألفاظ القرآن نوعا من المؤلفات، وهي ما يطلق عليه كتب معاني القرآن، ولقد كانت هذه التسمية تختلط كثيرا في أذهان المؤرخين للتراث اللغوي العربي، حيث أننا نجدها تتبادل مع تسميات كتب الغريب وكتب المجاز، وكتب إعراب القرآن، وكتب مشكل القرآن[1]، إلا أن "حسين نصار" قد كان له رأي في هذه المسألة، فقد تحرج من إدخال كتب معاني القرآن ضمن كتب الغريب، وذهب إلى أنها النواة الأولى للتفسير، كما أنها في رأيه أقرب إلى كتب الشروح منها إلى الكتب اللغوية[2]، ونحن سننحوا نحوه، فقد ميزنا بين النوعين، كتب الغريب، وكتب المعاني، إلا أننا نختلف مع "**حسين نصار**" في السبب في التفريق بينهما، فنحن نرى أن الفرق بينهما يعود إلى اختلاف المنهج في التأليف فيهما، وهذا ما سنشير إليه في العنصر الثاني، أما أهم الكتب التي حملت هذا العنوان، والتي ظهرت في القرنين الثاني والثالث الهجريين فنجد[3]: **محمد بن الحسن الرؤاسي الكوفي** (170هـ)، **ويونس بن حبيب البصري**

---

(1) ينظر: كتب غريب القرآن الكريم، حسين نصار، ص325.

(2) ينظر: المعجم العربي؛ نشأته وتطوره، حسين نصار، 49/1.

(3) ينظر: التفسير اللغوي، مساعد الطيار، ص123-127.

المنارة للاستشارات

النحوي (182هـ)، **ولعلي بن حمزة الكسائي** (189هـ)[1]، **والفراء الكوفي** (207هـ)، **وأبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش** (215هـ)، **وأبو عبيد القاسم بن سلام** (224هـ)، **وأبو العباس المبرد** (285هـ)، **وابن كيسان** (299هـ).

وأغلب هذه الكتب لم يصل إلينا، وما وصلنا منها هو كتب "**الفراء**" و"**الأخفش**"، في هذين القرنين، وكتاب "**الزجاج**" و"**النحاس**" في القرنين الرابع والخامس الهجريين.

2)-منهج كتب معاني القرآن وأهميتها المعجمية: وفي منهج هذه الكتب ومضامينها، نورد قول "**أبي جعفر النحاس**" (328هـ)، وهو في معرض حديثه عن منهجه الذي اعتمده في كتابه: «فقصدت في هذا الكتاب تفسير المعاني، والغريب، وأحكام القرآن، والناسخ والمنسوخ عن المتقدمين من الأئمة، وأذكر من قول الجِلَّة من العلماء باللغة، وأهل النظر ما حضرني، وأبين من تصريف الكلمة واشتقاقها، إن علمت ذلك، وآتي من القراءات بما يحتاج إلى تفسير معناه، وما احتاج إليه المعنى من الإعراب، وبما احتجَّ به العلماء في مسائل سأل عنها المجادلون، وأبيِّن ما فيه حذف، أو اختصار، أو إطالة لإفهامه، وما كان فيه تقديم أو تأخير، وأشرح ذلك حتى يتبينه المتعلم»[2].

من هذا القول يتبين لنا أن تصنيف كتب "معاني القرآن" قد اكتنفته عوامل معينة تجعله ينحى منحى خاصا في تفسير القرآن تميز به عن كتب

---

[1] لقد جمع "عيسى شحادة عيسى" كتاب معاني القرآن لعلي بن حمزة الكسائي من المصادر اللغوية وتفاسير القرآن وكتب القراءات، وجعله في كتاب معنون بـ "معاني القرآن للكسائي"، وطبعته دار قباء، القاهرة–مصر، 1998.

[2] معاني القرآن، أبو جعفر النحاس، تحقيق يحيى مراد، ص13.

المنارة للاستشارات

الغريب من حيث المنهج والمضمون، وفيما يليأهم خصائصها:

1-كثرة مباحث الصرف والاشتقاق: وقد برزت هذه المباحث بكثرة عند " **الفرّاء**" و"**الأخفش**"، وغلب الاهتمام بالاشتقاق في كتاب معاني القرآن وإعرابه لـ"**الزجاج**" (311هـ)[1]، وغالب هذه المباحث لا أثر لها على التفسير، أي لا يتوقف عليها البيان، وإنما كان النظر اللغوي عند هؤلاء اللغويين هو المقصد في التفسير توسعوا في ذكر هذه المباحث اللغوية، ويلاحظ أن هذه المباحث الصرفية والاشتقاقية في كتب المعاني دون كتب الغريب، ومن الأمثلة في كتب المعاني:

قال "**الأخفش**": «وقال: ﴿**لا يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ**﴾[2]، يقول: لغَوْتَ فِي اليَمِينِ، فَأَنَا أَلْغُوا لَغْوًا، وَمَنْ قَالَ: هُوَ يَمْحَى، قَالَ: هُوَ يَلْغَى لَغْوًا وَمَحْوًا، وَقَدْ سَمِعْنا ذَلِكَ مِنَ العَرَبِ، وَتَقُولُ لَغِيتُ بِاسْمِ فُلانٍ، فَأَنا أَلْغَا بِهِ لَغًا، أَيْ: أَذْكُرُهُ»[3]، فقد عمد "الأخفش" إلى ذكر ماضي الفعل ومضارعه والمصدر منه، ومجيئه بالواو والياء، وهذه كلها مسائل صرفية واشتقاقية.

2-كثرة المباحث النحوية: كان النحو وعلله بارزا في كتب معاني القرآن، وقد كان أحد مقاصد التأليف في كتب المعاني دون كتب الغريب، وهذا مما لا نجده في كتب التفسير عند السلف، ومن الأمثلة على ذلك:

---

[1] يقول محقق الكتاب: «للزجاج مذهب خاص في اشتقاق الكلمات وأخذ بعضها من بعض، وقد أورد هذه القاعدة في كتابه معاني القرآن وجرى عليها»، ينظر: معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق الزجاج، 1/30-31).

[2] سورة البقرة، جزء من الآية رقم225.

[3] معاني القرآن، الأخفش، تحقيق هدى قراعة قراع، 1/187.

المنارة للاستشارات

قال "**الفرّاء**": «وَقَوْلُهُ: ﴿**وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً**﴾[1]، يَقُولُ: نَقْضَ عَهْدٍ، فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ بالنَّقْضِ عَلَى سَوَاءٍ، يَقُولُ: افْعَلْ كَمَا يَفْعَلُونَ سَواءً، وَيُقالُ فِي قَوْلِهِ: عَلَى سَوَاءٍ: جَهْراً غَيْرَ سِرٍّ، وَقَوْلُهُ: "تَخَافَنَّ"، فِي مَوْضِعِ جَزْمٍ، وَلا تَكادُ العَرَبُ تُدْخِلُ النُونَ الشَدِيدَةَ وَلا الخَفِيفَةَ فِي الجَزَاءِ حَتّى يَصِلُوهَا بـ "ما"...»[2]، فالمسألة النحوية المشار إليها في هذا النص تتعلق بدخول النون الخفيفة أو الثقيلة على الفعل عندما يتعلق الأمر بالجزاء وقد يشترط فيها أن توصل بـ"ما"، وهذه المسائل النحوية لن نعثر عليها في كتب تفسير غريب القرآن.

3-كثرت الاستشهاد من لغة العرب: استشهد أصحاب كتب معاني القرآن بالشواهد من كلام العرب شعرا ونثرا، كما فعل أصحاب كتب الغريب القرآني، إلا أنه ما يلاحظ عليه في كتب معاني القرآن أن الشواهد للمسائل النحوية والصرفية والاشتقاقية أكثر من الشواهد للمسائل اللغوية، في حين أن كتب الغريب يكثر فيها الاستشهاد اللغوي من غيره، ويكفي نظرة في صفحة من صفحات هذه الكتب لنتبين هذه المسألة، وفيما يلي نموذج على الاستشهاد في كتب المعاني قول "**الفراء**": «وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**لاَ يَرْجُونَ لِقَآءَنَا**﴾[3]، لاَ يَخَافُونَ لِقَاءَنَا، وَهِيَ لُغَةٌ تِهَامِيَةٌ يَضَعُونَ الرَّجَاءَ فِي مَوْضِعَ الخَوْفِ إِذَا كَانَ مَعَهُ جَحْدٌ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ اللهِ: ﴿**مَالَكُمْ لاَ تَرْجُونَ للهِ وَقَاراً**﴾[4]، أَيْ لاَ تَخَافُونَ لَهُ عَظَمَةً، وَأَنْشَدَنِي بَعْضُهُمْ:

---

[1] سورة الأنفال، جزء من الآية رقم58.

[2] معاني القرآن، الفرّاء، 414/1.

[3] سورة الفرقان، جزء من الآية رقم21.

[4] سورة نوح، الآية رقم13.

المنارة للاستشارات

لاَ تَرْتَجِي حِينَ تُلاقِي الذَائِدَا**أَسَبْعَةً لاَقَتْ مَعًا أَمْ وَاحِدا.

أَيْ لاَ تَخَافُ وَلاَ تُبَالِي...»[1].

فقد توفر هذا النص على شاهد قرآني وشاهد شعري، مع إشارته إلى كون هذه اللفظة في استعمالها بهذا المعنى هو من أسلوب لهجة تهامة.

4- بيان الأساليب العربية الواردة في القرآن: فقد اعتنى أصحاب كتب معاني القرآن بتبيان الأساليب العربية الواردة في القرآن من حذف واختصار وذكر للسبب وترك المسبب، وعكسه، وذكر الواحد بلفظ الجمع وعكسه، وأمثلته كثيرة، ولو استقصيت لجاء فيها كتابا ضخما.

فهذه العناصر هي أهم الموضوعات التي اعتمدها اللغويون في التفسير في كتب معاني القرآن، وكانت خصائص تميزت بها عن كتب الغريب، بل وعن كتب تفسير القرآن الأخرى، وقد توفرت بذلك كتب معاني القرآن على مادة مفيدة للعمل المعجمي، إذ بها معالجة للألفاظ القرآنية في تفسيرها على طرق متعددة، وبها وظائف معجمية، واحتوت على شواهد لغوية، وهذه النقاط هي تكريس لمنهج المعجمية الذي ابتدأه علماء الغريب، وأولهم "**عبد الله بن العباس**"، وارتكز عليه أصحاب المعاجم اللغوية بدءا بمعجم العين وإلى غاية معاجم العصر الحديث.

[1] معاني القرآن، الفرّاء، 265/2.

المنارة للاستشارات

المبحث الثالث: كتب غريب ومعاني القرآن ودورها في إثراء النص المعجمي في المعاجم العربية

1)- نشأة المعاجم العربية وتطورها: لقد ابتدأت الأبحاث اللغوية في القرن الأول للهجرة تهتم بتفسير غريب القرآن ومشكله وغريب الحديث، وغريب ما ورد في الشعر العربي ونوادره، وقام كثير من العلماء ابتداء من القرن الأول والثاني للهجرة يبحثون ويؤلفون ويجمعون الألفاظ العربية، فألف بعضهم رسائل لغوية مقتضبة جمعت فيها بعض ألفاظ غريب اللغة ونوادرها، وجمع آخرون ما يذكر ويؤنث، أو ما يفرد ويثنى ويجمع من كلماتها، وقام البعض بجمع كل ما يتصل بصفات الإنسان أو ما يتصل بالحيوان، أو بالنبات أو بالمطر والأنواء وما شابه ذلك، وهناك من بحث الاشتقاق في اللغة أو جمع المترادفات والمتشابهات، أو عنى بما يلحن فيه العامة، أو بالمعرب والدخيل، ومن العلماء من قام بجمع مفردات اللغة وتبيان معانيها مرتبا إياها ترتيبا على حروف المعجم كما فعل "الخليل بن أحمد الفراهيدي" في معجمه العين، والذي كان إيذانا بتحول حاسم في التأليف في المعاجم العربية إلى يومنا هذا[1].

وهكذا فُتح باب التأليف اللغوي والمعجمي أمام العلماء، وتطور مع الزمن وبلغ حد الإتقان.

---

[1] ينظر: المعجم العربي؛ نشأته وتطوره، حسين نصار، 1/ الباب2-9، وينظر: المعجم العربي بين الماضي والحاضر، عدنان الخطيب، ص35-36، وينظر: مقدمة الصحاح، أحمد عبد الغفور عطار، 1984، ص50-52، وأهم هذه الرسائل اللغوية: كتاب النبات وكتاب الحشرات، وكتاب الإبل، وكتاب النخل، وخلق الإنسان، وكتاب الحشرات، وخلق الإنسان، ورسالة النحل والعسل، والبئر، وكتاب الجراد، ورسالة الهمز، وغيرها، ويقال أن أول من ألّف في الرسائل هو "أبو خيرة الأعرابي" في رسالة الحشرات.

المنارة للاستشارات

فبناة المعجم العربي الذين وضعوا أسسه والقواعد التي يقوم عليها في الحقيقة هم جميع أولئك العلماء الذين كتبوا وألّفوا في ناحية من نواحي اللغة أو ساعدوا غيرهم في ذلك بالنقل أو بالرواية أو بالتحشية أو بالتعليق، أو بشرح بعض المسائل اللغوية[1].

وما يلاحظ أن كتب غريب القرآن، التي تعود في تأسيسها إلى "**عبد الله بن العباس**"، ثم التي انتشرت واتسعت في القرن الأول والثاني الهجريين، قد سبقت ظهور الرسائل اللغوية التي تعد النواة الأساسية للعمل المعجمي العربي، وهذا ما يؤدي بنا إلى القول أن الرسائل اللغوية والمعاجم اللغوية قد تأثرت إلى حد بعيد بما جاء في كتب غريب القرآن ومعانيه في مضمونها ومنهجها.

2)- منهج المعاجم العربية وموقع الشاهد القرآني فيها: لقد سلك اللغويون من أصحاب المعاجم، معاجم المفردات منها ومعاجم الموضوعات، منهجا في شرح الألفاظ اللغوية، قد أقره أصحاب الرسائل اللغوية أولا ببعض الاقتضاب، ولكنه تبلور بشكل واضح في كتاب العين "**للخليل بن أحمد الفراهيدي**"، وفيما يلي نموذج من النصوص المعجمية من المعاجم العربية، لنبين من خلال على منهجهم فيها:

جاء في تهذيب اللغة **للأزهري**: «قَالَ "اللَّيْثُ": الهُدَى: نَقِيضُ الضَّلَالَةِ، وَيُقَالُ: هُدِيَ فَاهْتَدَى، وَقَالَ "**الزَّجَّاجُ**" فِي قَوْلِهِ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿**قُلِ اللهُ يَهْدِي**

[1] ينظر: المعجم العربي بين الماضي والحاضر، عدنان الخطيب، ص36.

المنارة للاستشارات

لِلْحَقِّ﴾[1]، يُقَالُ: هَدَيْتُ لِلْحَقِّ وَهَدَيْتُ إِلَى الحَقِّ بِمَعْنى وَاحِدٍ، لأَنَّ هَدِيتُ يَتَعَدَّى إِلَى المَهْدِيينَ، وَالحَقُّ يَتَعَدَّى بِحَرْفِ جَرٍّ، المَعْنَى اللهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى الحَقِّ. "**أَبُو العَبَّاس**" عَنْ "**ابْنِ الأَعْرَابِي**": الهُدَى: البَيَانُ، وَالهُدَى إِخْرَاجُ شَيْءٍ إِلَى شَيْءٍ، والهُدَى أَيْضًا الطَّاعَةُ وَالوَرَعِ، وَالهُدَى الهَادِي فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى**﴾[2]، أَيْ هَادِيًا،قُلْتُ الطَّرِيقُ يُسَمَّى هُدَى، وَمِنْهُ قَوْلُ "**الشَمَّاخِ**":

وَقَدْ وَكَّلْتُ بالهُدَى إِنْسَانَ سَاهِمَةٍ***كَأَنَّهُ مِنْ تَمَامِ الظُّلْمِ مَسْمُولُ.

وَقَالَ "**الفَرَّاءُ**" فِي قَوْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**أَمَّنْ لاَّ يَهِدِّي إِلاَّ أَنْ يُهْدَى**﴾[3]، يَقُولُ: تَعْبُدُونَ مَا لاَ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَنْتَقِلَ مِنْ مَكَانِهِ إِلاَّ أَنْ تَنْقُلُوهُ...»[4].

ففي هذا النص، وهو مجزوء من نص معجمي مطول، يتبين لنا طبيعة ومناهج معاجم المفردات في الشرح، فهو نص مطول واعتمد فيه صاحبه في الشرح على أقوال علماء اللغة وأصحاب كتب معاني القرآن، ونجد به شواهد شعرية وقرآنية، وأنه تتبع فيه كل معاني اللفظة لتعدد استعمالاتها في اللغة.

وبهذا النص وغيره يمكن أن نستنتج الخصائص التالية لمعاجم الألفاظ، تفريقا لها عن كتب غريب ومعاني القرآن:

1- لقد حاولت معاجم الألفاظ أن تضم إليها أغلب الألفاظ العربية، خاصة الفصيحة منها والمشهورة، وقامت بترتيبها على حروف المعجم بشكل يسهل

---

[1] سورة يونس، جزء من الآية رقم35.

[2] سورة طه، جزء من الآية رقم10.

[3] سورة يونس، جزء من الآية رقم35.

[4] تهذيب اللغة، أبو منصور الأزهري، تحقيق عبد المنعم خفاجي وآخرين، 6/378-379.

المنارة للاستشارات

عملية العثور عليها، وقد اختلف اللغويون في هذه المسألة كما اختلف أصحاب ألفاظ الغريب القرآني، فاللغويون لم يكن لهم منهج موحد في اعتماد ألفاظ اللغة، فمنهم من جمع المشهور من كلام العرب[1]، ومنهم من جمع المهذب والصحيح من كلامهم[2]، ومنهم من أراد أن يجمع كل ألفاظ اللغة[3].

2-وكان شرح الألفاظ بطرق متعددة ومتنوعة معروفة، هي الشرح بالمرادف والضد وبالنظير، والشرح بالاشتقاق، وبالسياق وبالحقل الدلالي، وبالعبارة وبالتخصيص، وكانت تقدم في الشرح معلومات نحوية وصرفية مفيدة تتعلق باللفظ المشروح، ومعلومات عن استعمال اللفظ ومعلومات موسوعية أخرى، وهذه الطرق وإن وجد بعضها في كتب الغريب السابقة إلا أنها قد تم التوسع فيها في معاجم الألفاظ وتم اعتمادها بكثرة، حيث أنه لا يخلو نص معجمي منها أو من بعضها على الأقل، وهذه المعطيات المفيدة عن اللفظ قد استفاد فيها اللغويون من التطور الحادث في الدرس اللغوي النحوي والصرفي، لذلك فإن كتب الغريب الأولى تقل فيها هذه المعطيات نظرا لتقدمها عن عصر الازدهار اللغوي.

3- لقد كانت الشواهد المستعملة في شرح الألفاظ في معاجم الألفاظ شواهد متنوعة هي الأخرى، وأكثر ما اعتمدته الشواهد الشعرية أولا، ثم شواهد القرآن الكريم ثانيا، ثم شواهد الحديث الشريف، ثم أقوال العرب الفصحاء، وحيث أن الشاهد الشعري من كلام العرب، أول من بادر إليه هو كتب غريب القرآن، وأولها

---

[1] وهذا مثل معجم الجمهرة لابن دريد، حيث أنه يجمع فيه الجمهور من كلام العرب.

[2] وهذا مثل معجم التهذيب للأزهري، والصحاح للجوهري.

[3] وهذا مثل معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، واللسان لابن منظور، فهما أرادا جمع كل ألفاظ اللغة.

المنارة للاستشارات

مسائل **نافع بن الأزرق عن عبد الله بن العباس**، فإن اللغويين يكونون في ذلك تابعين ومتأثرين.

4- يلاحظ أن المسألة قد أصبحت معكوسة عند اللغويين في أمر الاستشهاد بالشعر، فحيث كان يستشهد بالشعر على ألفاظ القرآن، أصبح الاستشهاد بالشعر والقرآن على كلام العرب.

5- لقد أغنت وأثرت كتب غريب ومعاني ألفاظ القرآن الشرح في النص المعجمي، فيما يتعلق بشرح وتفسير اللفظ القرآني، وهذا ما لاحظناه في النموذج المقدم، في تحديد معنى "هدى"، حيث اعتمد "**الأزهري**" على قول "**الفرّاء**" و"**الزجّاج**"، وهما من مؤلفي كتب معاني القرآن، حيث وردت في القرآن بمعاني متعددة ومختلفة.

الخاتمة:

في هذا البحث، والذي تعرضنا فيه لكتب غريب ألفاظ القرآن ومعانيه، باعتبارها تمثل التفسير اللغوي لألفاظ القرآن الكريم، وأردنا من خلاله أن ندلل على حقيقة ثابتة وهي أسبقية كتب غريب القرآن خاصة مسائل **نافع بن الأزرق** إلى مسائل التفسير اللفظي، وأنها قد أدت بشكل مباشر وغير مباشر إلى نشأة المعاجم اللغوية، وأنها قد أثّرتها لاحقا، وفيما يلي أهم النتائج من البحث:

1-إن سؤالات نافع بن الأزرق لعبد الله بن العباس، تعد بحق أولى مناهج التفسير اللغوي وبالتحديد التفسير اللفظي للألفاظ، لأنها قد اعتنت ببعض ألفاظ القرآن الكريم، وهي طبعا جانب من ألفاظ اللغة العربية، وتعهدتها بالشرح من

المنارة للاستشارات

كلام العرب وخاصة الشعر العربي القديم، وهي بذلك تعد أولى إرهاصات المعجم العربي.

2- إن كتب الغريب القرآن قد شهدت تطورا وازدهارا في القرون الهجرية الثاني والثالث وبعدها، وقد احتفل بها اللغويون أكثر من غيرهم، وقد تعددت مناهجهم فيها، إلا أنها كانت تتسم بالطابع اللغوي، أكثر من غيره من مناهج التفسير الأخرى، فقد رتبت مادتها ترتيبا على حروف المعجم، وعرفت الشروح فيها اعتناءا من طرق للشرح، وبعض المعلومات الصرفية، والاستشهاد بكلام العرب شعرا ونثرا.

3- إن كتب معاني القرآن هي نوع آخر من كتب التفاسير اللغوية لألفاظ القرآن، إلا أن لها ما يميزها عن كتب الغريب، وإن ظن أغلب العلماء أنها لا تختلف عنها، فهي لا تعنى فقط بغريب القرآن، بل بأغلب ألفاظه، وهي تمعن في إيراد القضايا النحوية والصرفية، والاعتناء بالأساليب، بالإضافة إلى شرح اللفظ شرحا معجميا، والاستشهاد بكلام العرب، ويلاحظ أنها كتب اعتنى بها اللغويون، وقد أعتمد عليها أصحاب المعاجم اللغوية في إثراء شروحهم وإغنائها.

4- إن هذا البحث يؤكد على نتيجة مهمة وهي أن البحث في التراث العربي والإسلامي، من علوم القرآن، وعلوم الحديث، والفقه، وعلوم اللغة، والأدب يجد أنها قد أثرت في بعضها البعض، ونشأتها هي نشأة واحدة، وهذا كله بسبب أنه تصدر من معين واحد وهو الإسلام برافديه القرآن والحديث، وعليه فإن البحث اللغوي لا ينفك عن البحث في علوم القرآن وعلوم الحديث منهجا وفكرا، ولهذا

المنارة للاستشارات

فإننا ندعو الباحثين إلى البحث والتنقير في كتب غريب القرآن والحديث واللغة، وفي تفاسير القرآن الكريم، لأن فيها دلائل على إرهاصات البحث اللغوي برمته.

ولله الحمد في الأولى والآخرة والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

المنارة للاستشارات

قائمة المصادر والمراجع:

* القرآن الكريم برواية حفص.

01- الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، تعليق محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، دط، بيروت-لبنان، 2003.

02- إعجاز القرآن، والبلاغة النبوية، الرافعي، ط6، مطبعة الاستقامة، القاهرة، 1956.

03- الأعلام، الزركلي، دار العلم للملايين، ط4، بيروت-لبنان، 1979.

04- البرهان في علوم القرآن، الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، دط، بيروت-لبنان، 1972.

05- تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي، شوقي ضيف، دار المعارف، ط14، القاهرة، دت.

06- تاريخ التراث العربي، فؤاد سزكين، ترجمة محمود فهمي حجازي، إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض-السعودية،1991.

07- تفسير غريب القرآن، ابن قتيبة، تحقيق السيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية، دط، بيروت-لبنان، 1978.

08- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تعليق عبد القادر الأرناؤوط، ط1، دمشق، دت.

المنارة للاستشارات

09- التفسير اللغوي للقرآن الكريم، مساعد الطيار، دار ابن الجوزي، دط، دت.

10- تقنيات التعريف في المعاجم العربية المعاصرة، حلام الجيلالي، مطبعة اتحاد الكتاب العرب، دط، دمشق-سوريا،1999.

11- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، المزي، تحقيق بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، دط، بيروت-لبنان، 1980.

12- تهذيب اللغة، أبو منصور الأزهري، تحقيق عبد المنعم خفاجي وآخرين، الدار المصرية للتأليف والترجمة، دط، القاهرة-مصر، دت.

13- ديوان طرفة بن العبد، شرح مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، ط3، بيروت-لبنان، 2002.

14- ديوان لبيد بن ربيعة العامري، دار صادر، دط، بيروت-لبنان، دت.

15- سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت-لبنان،1981 .

16- صناعة المعجم الحديث، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط2، القاهرة-مصر، 2009.

17- علم اللغة وصناعة المعجم، علي القاسمي، مكتبة لبنان ناشرون، ط3، بيروت-لبنان، 2004.

18- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، ابن السمين الحلبي، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت-لبنان، 1996 .

المنارة للاستشارات

19- العمدة في غريب القرآن، مكي بن أبي طالب، تحقيق يوسف المرعشلي، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، 1981 .

20- كتب غريب القرآن، حسين نصار، دط، دت.

21- مسائل نافع بن الأزرق عن عبد الله بن العباس، محمد أحمد الدالي، الجفّان والجابي، ط1، قبرص، 1993 .

22- المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث، محمدأبو الفرج، دار النهضة العربية، ط1، القاهرة-مصر، 1966.

23- معاني القرآن، أبو جعفر النحاس، تحقيق يحيى مراد، دار الحديث، دط، القاهرة-مصر، 2004، ص13.

24- معاني القرآن، الأخفش، تحقيق هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، ط1، القاهرة-مصر، 1990 .

25- معاني القرآن، الفرّاء، عالم الكتب، ط3، بيروت-لبنان، 1983.

26- معاني القرآن، علي بن حمزة الكسائي، جمع وتحقيق، عيسى شحاتة عيسى، دار قباء، القاهرة-مصر، 1998.

28-معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق الزجاج، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، ط1، بيروت-لبنان، 1988.

29- المعجم العربي إشكالات ومقاربات، محمد رشاد الحمزاوي، بيت الحكمة، دط، تونس، 1991 .

المنارة للاستشارات

30- المعجم العربي بين الماضي والحاضر، عدنان الخطيب، مكتبة لبنان ناشرون، ط2، بيروت-لبنان، 1994 .

31- المعجم العربي؛ نشأته وتطوره، حسين نصار، دار مصر، دط، القاهرة-مصر، دت.

32- المعجمية العربية بين النظرية والتطبيق، علي القاسمي، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، بيروت-لبنان، 2003 .

33- معجم مصنفات القرآن الكريم، علي شواخ، دار الرفاعي، الرياض-السعودية، 1984 .

34- معجم المعاجم، أحمد الشرقاوي، دار الغرب الإسلامي، دط، بيروت-لبنان، 1987.

35- معرفة القرآء الكبار، الذهبي، تحقيق سيد جاد الحق، ط1، القاهرة-مصر، 2003 .

36- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، دط، بيروت-لبنان، دت.

37- مقدمة الصحاح، أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط3، بيروت-لبنان، 1984 .

38- من قضايا المعجم العربي قديما وحديثا، محمد رشاد الحمزاوي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت-لبنان، 1986.

المنارة للاستشارات

39- النهاية في غريب الحديث والأثر، الجزري، تحقيق طاهر أحمد الزواوي ومحمود الطناحي، المكتبة العلمية، دط، بيروت-لبنان، 1979.

المنارة للاستشارات